التاريخ الإسلامي العام

الجاهلية - الدولة العربية - الدولة العباسية

تأليف

الدكتور على ابراهيم حسن
المفتش الأول للمواد الاجتماعية
بوزارة التربية والتعليم



ملتزم النشر والطبع
مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها حسن محمد وأولاده
٩ شارع عدلى باشا بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

دفعني قيامي بتدريس مواد التاريخ الإسلامي العام ، وتاريخ مصر العام والتاريخ المصري في عصر الفاطميين ، والتاريخ المصري في عصر الأيوبيين والمماليك ، في كلية دار العلوم وكليتي الآداب بجامعة القاهرة وبجامعة بغداد - كأستاذ للتاريخ الإسلامي ، إلى وضع هذا الكتاب الشامل

ألفت كتب كثيرة تبحث فى التاريخ الإسلامى ، سواء فيما يتعلق بناحية خاصة من نواحيه أو بالكلام إجمالا عن ظهوره وتوالى الدول التى كان لها شأن فى تسجيل أحداث ذلك التاريخ . إلا أنه على وفرة ما كتب قديماً وحديثاً ، فإن النظرة الشاملة التى تشرف على ذلك التاريخ ، بحيث تحيط به وتضم أطرافه وتفسر أحداثه ، مما يمثل أحدث الاتجاهات فى الوقت الحاضر فى تفسير التاريخ ، هو الذى دفعنا إلى تأليف هذا الكتاب على هذا النحو التركيبى الشامل ، وهو الذى جعلنا نمهد لدراسة التاريخ الإسلامى بالبحث فى العصر الجاهلى ، لأن ظهور الإسلام - وهو حدث من أخطر أحداث الإنسانية - لا يمكن أن يفهم مستقلا عن ماضى العرب فى جاهليتهم ، لا القريبة فقط بل البعيدة أيضاً ، لأن روح الأمة يمتد عبر الزمان حتى لو تقلبت عليها الأديان وتطورت فى لهجاتها ولغاتها وعاداتها .

كان الهدف الذى نرمى إليه إذن هو الـكشف عن مقومات هذه الروح الإسلامية ، التى انبعثت من جزيرة العرب ، ثم اتسعت فشملت كثيراً من الشعوب غير العربية التى اتخذت الاسلام ديناً والعربية لسانا . وانضوت جميعاً تحت لواء الحضارة الإسلامية ، وكانت تلك الحضارة قوية حيناً وضعيفة حيناً آخر .

وكان لظهور الإسلام أثره الدينى : فقد أصبح القرآن والأحاديث دستور المسلمين ، كما كان له أثره السياسى كذلك إذ نجح فى تـكوين أمة واحدة تخضع لحـكومة واحدة بعد أن كانت القبيلة هى الوحدة السياسية التى قام عليها المجتمع العربى قبل الإسلام .

وتعد خلافة الخلفاء الراشدين : أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، شورية انتخابية واتسعت الدولة العربية فى عهد عمر بن الخطاب ، فقد ضم إلى تلك الدولة : فارس والشام وفلسطين ومصر . وكان كل خليفة منهم يتوخى أن يحكم وفق الحدود الشرعية ، إذا استثنينا عهد عثمان الذى رماه أعداؤه بأنه يقرب الأصهار ويبعثر الأموال ولا يحكم بالعدل .

وصحب تحول الخلافة من الخلفاء الراشدين إلى الأمويين ، عدة مظاهر ليست من مقتضيات الخلافة ، كمظاهر الأبهة والجبروت .

وأخذت الحضارة العربية تترعرع ويشتد ساعدها ، ويعد معاوية مؤسس دولة الأمويين ، واعتبر عهد عبد الملك بن مروان عهد إصلاح إدارى شامل فى دولة الأمويين . وأعاد عهد الوليد بن عبد الملك عهد التوسع والغزو الذى ساد الدولة العربية طوال عهد عمر بن الخطاب ، فقد فتح الوليد أقليم ما وراء النهر وحوض نهر السند وشمال إفريقية والأندلس .

ولم يأت صدر الدولة العباسية حتى كانت قد بلغت أوجها ، والتاريخ يحدثنا أن الحضارة الإسلامية فى ذلك العهد قد فاقت سائر الحضارات المعاصرة لها فى الشرق والغرب ، وحكمت الدولة العباسية العالم الإسلامى زهاء خمسة قرون . وكان خلفاؤهم من السفاح إلى الواثق رجال عظماء ، ما عدا الأمين فإنه لسوء حظه لم يساير هؤلاء فى عظمتهم ومقدرتهم السياسية ، واعتبر العصر العباسى الأول وحدة منسجمة متناسقة ، إذ لم يكن لكل خليفة سياسة شخصية ، بل سار الجميع على سياسة واحدة .

وكانت الحوادث الكبرى التى وقعت فى ذلك العهد تسير كلها فى تيارات عامة كإسقاط العرب وإيثار الفرس عليهم ، ثم تشجيع الترك على الفرس والعرب معاً ، ونهضة العلم والأدب ، وظهور حرية الفكر فى البحث والجدل والمناظرة ، وتقريب العلماء والأدباء والمغنين ، وترقية الفنون الجميلة كالعمارة والشعر والموسيقى وهو على الجملة العصر الذهبى للإسلام .

و بقيام العصر العباسى الثانى سنة ٢٣٢ هـ ، زال العصر الزاهر فى الدولة العباسية ، وشمل الضعف معظم مظاهر الحياة فى بغداد ، و يمتد هذا العصر أكثر من أربعة قرون ، كان فيها الخلفاء العباسيون تحت سيطرة الأتراك أولا و بنى بويه ثانياً ، ثم السلاجقة أخيراً . وكان الخلفاء كالريشة فى مهب الرياح ، يتوقف بقاء كل منهم على العرش حسب رغبة المسيطرين عليهم من الأتراك وسلاطين البويهيين والسلاجقة .

وفى سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) سقطت بغداد فى أيدى التتار ، بعد أن ظلت زهاء خمسة قرون حاضرة للدولة العباسية ومركزاً للعالم الاسلامى ومهبطاً للعلماء . و بمقتل المستعصم عام ٦٥٦ هـ ، انتهت الخلافة العباسية فى بغداد ولم تقم

لماقائمة حتى أحياها بيبرس سلطان المماليك فى مصر فى عام ٦٥٦ هـ (١٢٦٠ م). واستمرت الخلافة العباسية فى مصر إلى أن فتحها العثمانيون على يد السلطان سليم الأول سنة ١٥١٧ م وأصبحت ولاية عثمانية .

* * *

وقد قسمت الكتاب قسمين : أولهما للتاريخ السياسى ، وثانيهما لنظم الحكم والحياة الاجتماعية ، ووجهت عناية خاصة إلى دراسة التيارات الحضارية والتعليق على الأحداث التاريخية ، لما لها من أثر عميق فى تكييف التاريخ الإسلامى وفهمه على الوجه الصحيح .

والله نسأل أن يسدد خطانا ويهدينا سواء السبيل

المؤلف